المصـــــدر : المدينة المنورة - الرسالة
التـــاريخ : ١٤-٠٧-٢٠٠٦ العـــدد :
الصفحـات : ٩ المسلسل : ٣١

علي إبراهيم النملة و«فكر الانتماء في زمن العولمة» (٢-٢)

الأفراد الذين يميلون إلى التضييق إنما يسهمون في الإساءة إلى الدين

كتب ساري محمد الزهراني

استكمالاً لما سبق عرضه حول كتاب (فكر الانتماء في زمن العولمة ..وقفات مع المفهومات والتطبيقات) للمفكر علي بن إبراهيم النملة، نكمل خطوات هذه القراءة، ولا نزعم أننا استطعنا أن نعطي الكتاب حقه من القراءة ، ولكن يكفي من العقد ما حاط بالرقبة.

على النملة

لم نسمع إلا في السنوات الأخيرة إطلاق بعض التصنيفات والمسميات على بعض الكتاب والمفكرين

المصـــــدر : المدينة المنورة - الرسالة
التـــاريخ : ١٤-٧-٢٠٠٦ العـــدد :
الصفحـات : ٩ المسلسل : ٣١

الإسلام لا يقبل النعت الذي يجر إلى التصنيف وجعل المسلمين فئات وطوائف

مفهوم الاجتهاد

حول مفهوم الاجتهاد، يقف المؤلف وقفة تجسد ما آل إليه حال البعض من الفقهاء، من بعض المتلقين، من الذين لا يعجبهم رأي عالم، في جزئية علمية، يسارعون في إطلاق الخطأ عليه، وعلى رأيه، قبل أن يناقشوه فيه، وربما تخطوا ذلك، ونزعوا عنه عاملا من العوامل التي جعلته في مصاف العلماء، مثل: حسن النية، أو الإخلاص أو الإيمان.

وفي جانب آخر نجد المؤلف يقف وقفة جادة حيال التصنيف الذي وجه خادم الحرمين الشريفين بالابتعاد عنه ونبذه، لما له من الأثر الكبير والجليل على الوطن والمواطنين، وعلى والوحدة الوطنية ما قد ينتج عن ذلك التصنيف إلى جر البلاد والعباد إلى التشتت، والتفرق شيعا وأحزابا، ما يؤدي إلى صرف العقول والأفكار، إلى مالا طائل وراءه؛ ما قد يصرف أبناء الوطن إلى الابتعاد عن تحقيق ما نصبو إليه جميعا من توحد وتقدم في الحاضر والمستقبل.

يقول خادم الحرمين الشريفين -حفظه الله ورعاه – في كلمته أمام أهالي القصيم: "إني سبق أن قلت وأكرر أمامكم أن هناك أمرين لا يمكن التساهل فيهما: الشريعة، ووحدة الوطن، وأصارحكم القول إنه لا يتناسب مع قواعد الشريعة الإسلامية والوحدة الوطنية وهو أن يقوم البعض بجهل، أو بسوء نية، بتقسيم المواطنين إلى تصنيفات ما أنزل الله بها من سلطان، فهذا علماني، وهذا ليبرالي، وهذا منافق، وهذا إسلامي متطرف وغيرها من التسميات.. والحقيقة أن الجميع مخلصون إن شاء الله، لا نشك في عقيدة أحد حتى يثبت بالدليل القاطع ما يدعو إلى الشك..."

ويقول المؤلف علي النملة في وقفته حول التصنيف: " ومما يدخل في هذا مما هو قريب منه، رفضنا نحن المسلمين تصنيف الإسلام إلى جملة من الإسلاميات، كالإسلام السياسي مثلا، أو الإسلام الاقتصادي، أو الإسلام الاجتماعي، أو الإسلام التقليدي، أو السلفي، والإسلام الحديث، أو الليبرالي، والإسلام الشعبي، والإسلام الرسمي، والإسلام المتطرف، والإسلام المعتدل، والإسلام البسيط، والإسلام المعقد أو المركب.

مفهوم التصنيف

فالإسلام هو الإسلام لا يقبل النعت الذي يجر إلى التصنيف وجعل المسلمين فئات وطوائف.

وفي ذات السياق يقول المؤلف: " مما رُزئت به الأمة تصنيف الناس من حيث انتماءاتهم بحيث لا يسلم من أن يُعزى إلى توجه من التوجهات التي نجزم أنها دخيلة على المجتمع المسلم، ولدتها الأفكار التي غزت المسلمين." ولا ينفي المؤلف بوجود التصنيف في حياة الأمة سابقًا؛ ولكنه لم يكن مشهورًا حتى أن لفظ إسلامي لم تكن شائعة في إطلاقها على الأشخاص، فالكل مسلمون، وبينهم من هم يتجهون اتجاهات توحي بالتصنيف ولكنهم لم يصنفوا، ولم ينظر إليهم إلا على أنهم أشخاص مسلمون، يعبرون عن أنفسهم، ولا يعبرون عن توجه من التوجهات، سواء أكانت توجهات منظمة أم غير منظمة".

ونضيف على رأي المؤلف أننا لم نسمع إلا في السنوات الأخيرة إطلاق بعض التصنيفات والتسميات على بعض الكتاب والمفكرين، من أمثال؛ هذا علماني، وذاك ليبرالي، وذاك حداثي، وهذا رجعي، وهذا إسلامي،

مفهوم التضييق

وبعد أن أتجاوز صفحا عن بعض الوقفات، يستحسن أن أقف عند بعض الظواهر التي أفرد لها المؤلف الوقفة العاشرة وسماها (التضييق) وقبل الخوض في آراء المؤلف، يجدر بنا، أن نوضح حقيقة أن الأمة الإسلامية ما أبتليت بأشد خطرًا عليها ممن توسد التضييق على الناس في كل شيء، مما هو محل خلاف، أو يستند على رأي ضعيف، ما نتج عنه نفور الكثير من حديقة الإسلام، والأصل في الدين اليسر، ولم يأتِ الدين بعسر، بل إن مع كل عسر يسرين، ولم يشجع الدين على التشدد، فلن يشاد الدين أحد إلا غلبه، هذا في الأصول في الدين، فإن كان ذلك في الفروع من باب أولى، لا سيما في السنن والنوافل، بل ربما قيل بترك بعض السنن، إذا كان الجو العام سيقود إلى مفسدة، إذا ما أصر المرء على فعالها، لاسيما إذا كادت السنة أن تتحول إلى فرض، كما يؤكد المؤلف.

ويخلص المؤلف تحديدا في هذه الوقفة إلى أن الأفراد الذين يميلون إلى التضييق على أنفسهم، وعلى الناس؛ إنما يسهمون في الإساءة إلى الدين، وقد يعطون الانطباع للآخرين من المسلمين وغير المسلمين بصعوبة التدين والإقبال على الإسلام، كما أن التهاون في هذا المجال، والمبالغة في استغلال الرخص قد يعطي الانطباعية المعاكسة، فليس في المسألة تنازلات أو تجاوزات؛ وإنما هي الرخص والتوسع والتيسير، التي تفضي كلها إلى سماحة هذا الدين، وقابليته للتطبيق في كل مكان وزمان، الأمر الذي نعتقده جميعا، ونسعى إلى توكيده في كل المناسبات.

ولا أعتقد أننا نختلف حول ما ذهب إليه المؤلف علي النملة، فما ابتلت أمة الإسلام، مثل ابتلائها بهؤلاء المضيقين المتشددين، حيث يسعون إلى خلق إسلام يقوم على التشدد والتضييق على الناس، ما أدى إلى نفور الكثير من المسلمين عن الالتزام الصحيح، لأمر الذي جعل من غير المسلمين ينفرون منه، ويسعون إلى إلصاق التهم به وبأهله والمنتمين إليه.

وختاما لهذه القراءة العابرة لهذا السفر الماتع، لا بد من الإشارة إلى أن الكتاب حوى الكثير من الوقفات من أمثال المفهومات والتطبيقات، والمنهجيات، العلم والمعلومة، التفاعُليات، المسلكيات.

وقصارى القول؛ فالكتاب سياحة ماتعة في علم الفكر، يعالج القضايا المعاصرة معالجة مستنيرة، امتدادا لتجربة صاحب الكتاب في عالمه المعاصر، الذي يعيش فيه وينتمي إليه ، ، فحق علينا شكره والامتنان له.